التألُّه والوحدة[١]

رسالة ماجستير

عن مفهوم عقيدة التألُّه ووحدة الكنيسة في اللاهوت الاختباري عند آباء الكنيسة

وكما سبق وشرحه الأب متى المسكين في كتاباته

مراجعة/ المتنيّح الأنبا إبيفانيوس
إعداد/ الدكتورة ليديا عادل حنا

الكتاب هو رسالة ماجستير قدَّمتها الباحثة لنيل درجة الماجستير من جامعة صوفيا بإيطاليا في يوليو ٢٠١٧. وقد نالت الرسالة التقدير بالدرجة العظمى (١٠٠٪) (ص ٢٧١).

وقد بَدَأت فكرة البحث بسؤال طرحته الباحثة على نفسها بخصوص أن العالم الكنسي اليوم يرجو ويسعى نحو الوحدة، ولكن لماذا لم نصل عمليًّا إلى تحقيقها؟ ما هي العوائق التي تقف أمامها؟

وقد رأت الكاتبة أنَّ الانطلاق نحو الوحدة الحقيقية لابد أن ينبع من فهم المؤمنين لعقيدة الثالوث. فإيماننا المسيحي هو أن الله واحدٌ وثالوث. إلهٌ واحدٌ مثلث الأقانيم، كل أقنوم يتمايز عن الأقنومَيْن الآخرين، ولكنه متحدٌ معهما. والثلاثة أقانيم في تمايزهم متحدون بحسب الطبيعة، ويكونون في علاقة محبة متبادلة "بيريخوريسيس"، علاقة دائمة لا تتوقف ولا تنتهي، قائمة دومًا بين الآب والابن والروح القدس. وعندما نتحدث عن المحبة فنحن نقصد محبة الأغابي، المحبة التي خلقت الإنسان ودَعَته للدخول في علاقة مع الله نفسه. فالله، في محبته، قَبِلَ أن يتحد بالمخلوق في علاقة بنوَّة في الابن يسوع المسيح، الكلمة المتجسِّد.

والبحث يؤكِّد أننا لن نستطيع الوصول إلى وحدة الكنيسة، إلا من خلال اتحادنا بالله. فالاتحاد بالله هو سبيل الإنسان الوحيد نحو الوحدة. وبدون الاتحاد بالله، لا يمكن للإنسان أن يدخل في أيِّ علاقة اتحاد بغيره. لذلك نجد أن الله تحدث معنا بلغةٍ مناسبة لقدراتنا الإدراكية، لذا علينا أن نختار لغةً مشتركة وواضحة للجميع.

إن الهدف من الرسالة هو إيجاد لغة مشتركة بين الكنائس لتحقيق المسيرة نحو الوحدة.

---

(١) يقع الكتاب في ٢٩٤ صفحة، وصدر في طبعته الأولى سنة ٢٠١٩ من مطبعة دير القديس الأنبا مقار- وادي النطرون.

وبدلًا من الارتكاز على نقط الخلاف بين الكنائس، اختارت الكاتبة الارتكاز على نقاط الاتفاق والتلاقي بينهم.

وقد استند البحث إلى مراجع عديدة ومتنوعة: الكتاب المقدس بعهديه، أقوال الآباء، تقليد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وليتورجياتها، ومن ثُمَّ تناول موضوع الكتاب الرئيسي: التألُّه والوحدة في فكر وكتابات وحياة الأب متى المسكين كنموذج من العصر الحديث.

وقد تناولت الباحثة الموضوع في ثلاثة فصول كالاتي:

الفصل الأول: وفيه تتعمق في المفاهيم الإيمانية وتأصيلها بحسب فكر وتقليد آباء الكنيسة الشرقية والغربية على حدٍّ سواء، من خلال كتابات: القديس أمبروسيوس من الآباء اللاتين؛ القديس كيرلس الكبير عمود الدين، من الآباء السكندريين؛ القديس إسحق السرياني، من الأدب الرهباني. كما استخدمت الباحثة مراجع أخرى مثل: يوستين الشهيد، القديس أثناسيوس الرسولي، القديس باسيليوس الكبير، وغيرهم....

الفصل الثاني: عرض لسيرة وحياة الأب متى المسكين بما يخدم البحث. واللاهوت الذي يتمَّيز به هذا الأب هو لاهوت اختباري، بمعنى أنه يَعبرُ من المجال العقائدي لينتقل إلى البُعد الاختباري. فاللاهوتي الحقيقي هو الذي يتأمل في الله، يسمعه ويُعلنه للآخرين. وقد فرَّق الأب متى بوضوح بين أُلوهية الله بالطبيعة، وتألُّه المؤمنين بسبب شركتهم واتحادهم في الابن بالنعمة، الشيء الذي تحقَّق بتجسَّد الابن.

الفصل الثالث: وهو قلب الرسالة، يتناول عقيدة "التألُّه والوحدة"، أي عقيدة الاتحاد بالله ووحدة الكنيسة، استنادًا إلى التعاليم اللاهوتية الاختبارية للأب متى المسكين (حياته وكتاباته وعظاته)، على خُطى آباء الكنيسة، وامتدادًا للتقليد الكنسي المُسلَّم لنا مِنَ القديسين.

التألُّه والوحدة هما وجهان لعملةٍ واحدة: ربما يظنُّ القارئ أنهما موضوعان مستقلّان، وإنما، في الحقيقة، هما مترابطان معًا ترابُطًا شديدًا بواسطة عمل الروح القدس، الذي حقَّق ذلك في فخر جنسنا العذراء القديسة مريم، التي اختارها الله، لكي بواسطتها وفي رحمِها يتَّحد اللاهوت بالناسوت. فكما تمَّ عمل الروح القدس في العذراء مريم ليولد منها المسيح؛ هكذا يكون ويستمر عمله، في كل زمانٍ، يعمل في البشرية الخاضعة لصوت مشيئته، لتقدم المسيح للعالم في كنيسته التي هي جسد المسيح الواحد.